

رحلة في الأهوار

٢٠١

كم تمنيت أن أزور الأهوار زيارة طويلة و أكحل عيني بكل شي ء فيها ولم يدر في خلدي أن هذه الرغبة العذبية ستتحقق حيث قال لي احد الأصدقاء ونحن جالسون في احد المقاهي المطلة على شط العرب التي استرجعت حيويتها مؤخرا لماذا لا تكتب شيئا عن الأهوار ، وفي اليوم التالي جلست مع نفس الأصدقاء جلسة عمل لمعرفة الكيفية التي اتخذ فيها مهمني الصحفية هذه بنجاح فهيأ لي ما أريدت ووافق على مصاحبتي صديقان لي لمعايشة هذه المغامرة الجميلة . وتوكلنا على الله في اليوم التالي واصطحبنا دليلا واثنين آخرين من أقاربي هم أصلا من سكنة الأهوار وقد رافقتنا مصادر خمسة كلها تبحث في الأهوار وعاداتها وتاريخها . وفي صباح يوم ندى .. استأجرنا من (كرمة علي) منطقة تجمع سكان الأهوار زورقا بخاريا كبيرا لأنه الوسيلة الوحيدة للوصول إلى أطراف الهور والى منطقة (حرير) بالذات .. التي أخذت اسمها من اسم صاحب المقامات (الحريري) الذي سكنها في غابر الزمان .

الاهوار

تصيد الأسماك وتقوم بحلب جواميسها وتضع

عينها بعين القدر الذي رسم لها حياتها. هكذا ترى (زهرة محسن) الحياة الآن فلم يخطر ببالها أبدا أنها سترجع مرة أخرى إلى قريتها خاصة بعد أن شاهدها قد يبست وتشققت وعلى بعد صدقاتهم رغم أنها صداقة دموية ،فرجل الأهوار يعاشر من قتلها وهي تعرف من رؤيته ووجوده رغم انه قاتلها .

نزلنا من الزورق البخاري في شريعة (الحاج محمود المكوصي) احد وجهاء المنطقة مرحبا بنا . وقال (مهاوش عباس) الذي كان كل حديثه ضحكا وسرورا وكان مشبه رقصا إذ انه لم يكن يعتقد أن رجوعه حقيقة واقعة بل حلما بعيد المنال ؛ عندما تحقق الحلم اشكر الله على هذه النعمة. . وأصرر باصطحابنا إلى المضيف ،حيث أن كرم أهل الأهوار شسيء أصيل في نفوسهم لا يختلف عليه اثنان.

وفي طريقنا إلى المضيف مررنا بمدرسة ابتدائية مبنية من القصب سقوف صفوها ستقع عند أول هبة ريح قوية.. تقع هذه المدرسة على أطراف الهور وظهر لنا (حسين كاظم الحلقي) وهو من ذات المنطقة الذي أصر على أن نزور مضيئه وبنات عنده وكان له ما أراذ.

أن قرية (حرير) قرية صغيرة متكونة من مجموعة من الأكواخ جداؤها ضيقة ومتعرجة ماؤها صاف . احتوى على الكثير من النباتات المائية ذات الجمال الأخاذ التي كثيرا ما تضايق أصحاب القوارب منها فأكسبت الجداول بإزهارها ذات الألوان الجميلة المختلفة بهجة وروعة. . وكثرت الأزهار في المجرى يدل على ان هذا الطريق ليس مطروقا .

سكان أهل الأهوار

يسكن أهل الأهوار في أكواخ مصنوعة من ترسبات طبقات من الطين والبردي والقصب وتتم بطريقة خاصة ذات تشكلات يتفنون في بنائها وأقواس يقدونها وهي تختلف في سعنها وأشكالها والأكواخ هذه (الضرائف) متماثلة في النوع مختلفة كل الإختلاف في الحجم وأرضيتها المفروشة بالبردي.

المفروية رطبة يغلب على البناء عندهم الفردية وهناك أربعة أصناف من المساكن في الأهوار (السلف) والديبون والايثسان والبيوت)وهناك العديد من المواقع الأثرية القديمة التي يسكنها المعدان (الايثسان) ومن أشهرها (حفيظ و أبو ذهب وعزيرة).

ولاحث لنا القرية الأخرى مسوفة نتوقف بها بعض الوقت في تبدأ جولتنا الحقيقية. .وسألنا عن اسمها فقال لنا (فليح) أنها قرية (حرير) التي أخذت اسمها من صاحب مقامات الحريري التي سكن المنطقة آنذاك.

قرية مبهجة بتعدد ألوانها ، يلعب في ضوء الشمس قصبا الأصفر ويلقي بثماعة في الأقف. .وجدت البسمة والفرحة بين الرجال والنساء والأطفال ،الجميع يغتوون بصورة غير إرادية ويتحدثون البسمة والفرحة بين الرجال والنساء والعجائز تدعو الله أن لا يعيد الغمة السابقة وتترعر أن تكشف الغمة الجديدة عن الوطن العزيز ،أريتها حاملة صرة ملايسها وتصحب ابنيتها وهما كل ما تملك الآن من الدنيا حيث توفى الله أباهما وتنتظر إليه جل جلاله يعيون التلكى فقررت أن ترجع إلى بيتها السابق في القرية.

لا تخلو منطقة من المناطق في الأهوار أو قسم من مساكنهم منه فهو " مركز مهم من مراكز الحياة القبلية في ملكه وبنائه يتقرر المركز الاجتماعي لصاحبه والدور الذي يلعبه بالغ الأهمية في الحياة الاجتماعية والسياسية للعشيرة " .وله بناء خاص وطريقة متميزة. . وحين يدخل أي شخص للمضيف يقوم بوجهه الجالسين صفيين متقابلين فيسلم عليهم واحدا واحدا وعندما يجلس يبدأ الكل في تحبته وعندما يسقى القهوة وسئلت قوله عليه أن يشربها ويهز الفنجان عندما ينتهي وإلا سيستمتر اأدب في صب القهوة.

وللمضيف آداب تصور بشكل واضح التقديس والاحترام فعلى الرجال أن يأتوا بكامل ملايسهم وخاصة العبادة والعال وان لا يتكلموا فيه مالم يخاطبوا أو يؤذن لهم بذلك ويجب على الجالسين أن يجتنبوا التكات والضحك الذي لا موجب له. جلسنا لنستريح واخذ الناس يتقاطرون يسلمون مرحبين فرحين وعندما اقبل المساء أصبح كل شيء في دنيا الهور هادئا كما لو كان كل شيء مملووعا على الأفق. فتوقفت أطراف القصب الطويلة من اهتز أزها وانقطع الهمس بين نباتات البردي وأوت إلى أعشاشها الطيور ساكنة في قلب القصب.

عالم الأهوار

في المضيف التقينا الشيخ (كاظم عبد الواحد

ويحدد الدكتور (شاكر مصطفى سليم) في كتابة

القيم (الجبايش) حدود الأهوار بما يأتي :

يقطن سكان الأهوار الأراضي الواطلة في الحوض الجنوبي للنهرين التوأمن نجلة والفرات ويقع مسكنهم بصورة تقريبية في حدود خط مار بالبصرة جنوبا وبالكوت والكفل في الشمال الغربي على التتابع ،ويمتد هذا المسكن بين خطي العرض (٥٠ انج ٣٢درجة و ٥٠ انج ٣٠درجة شمالا)من الشمال إلى الجنوب وبين خطي الطول (٥٠ انج ٤٤درجة و ١١٠ انج ٤٨ درجة شرقا من الشرق إلى الغرب).

أن حدود منطقة الأهوار من العراق هي مدينتا الكوت والكفل في الشمال ومدينة البصرة في الجنوب وفي الشرق الحدود الإيرانية وغربا نهر الفرات بين مدينتي الحلة وسوق الشيوخ .والاهوار هي ثلاث مجموعات (مجموعة اهور نجلة و مجموعة اهور الحمار و مجموعة اهور الفرات).

مناخ وسكان الأهوار

في الأهوار فصلان واضحان هما الصيف الحار والرطب والشتاء البارد أما الخريف والربيع فصقلان قصيران لا يستديم كل واحد منهما أكثر من شهر. اما سكانها فطيون ويسيطون ببساطة حياتهم في المناطق الجنوبية من العراق.. الماء كل شيء في حياتهم ، وفي حياة حيواناتهم ودواجنهم التي يفتنونها التي لا تعيش إلا سابحة فيه ،وتارة يغضب هذا الماء ويؤثر عليهم ليفرقهم بطوفانه ويفرق مواشيهوم يمتلكهم وتارة يستكين لهم وينبسط بين أيديهم ويتركهم يتزعمون للقهمة من بين طبائه ، ولكون سكان الأهوار يعيشون حياتهم مع المياه المنبسطة لذلك نجدهم يجتوون إلى الخيال ويتبع الحب ويريق الشعر بينهم.ومجتمع الأهوار يبدو إلى حد ما متناسحا مع الحب وكثيرا ما تتشاب بين أعواد القصب وحقول الرز خصص حب مثيرة تنتهي بنهايات سعيدة.

قرية حرير

أن منظر الهور في كل بقعة منه لا يتغير. .ظواهر سائدة في كل مكان. .الماء والقصب والبردي والسكون ونسمة تهب فتجيبها رؤوس القصب ويعتقها سطح الماء ويمر بنا الزورق البخاري ومساحات من القصب قد تغيرت أوضاعها ومال بعضها على البعض الآخر.

ولاحث لنا القرية التي مسوفة نتوقف بها بعض نهاياتها بالمشاحيف ، كانت تمر أمامنا قوافل من صيادي الأسماك وأخرى مشاحيف انفرادية وتوقف الزورق البخاري نتيجة عطل ونحن في وسط المياه الممتدة وضمت ساعات ولم نقطع سوى كيلومترات قليلة فتقاطرت المشاحيف علينا كل منها يقدم خدمته ويعرض المساعدة وقد تعاونت السواعد وتشابكت الأيدي إلى أن تم إصلاح العطب التفت إلى (فليح) وسألته يا أخى كم يوما تحتاج في تجوالنا في الأهوار

أجاب. .أياما طويلة حيث الأهوار بعيدة الأطراف كبيرة واسعة جدا وطلعت ثانية المصادر لأحد مواقع الأهوار .

أن منطقة الأهوار في العراق هي من أوسع مناطق الأهوار في العالم بما يساوي عشرين ألف كيلومتر مربع وهي من أكثر مناطق العالم غرابية.



الشيخ مع مجموعة من أبناء عموته إلى الأهوار الوسطية ومن ثم إلى الحويزة.

وفي عام ١٩٦٧م حدث عصيان مسلح من قبل الشيوعيين الذين يؤمنون بالكفاح المسلح بقيادة الحزب الشيوعي وحزب الدعوة الإسلامي وعدة من قوة الشرطة السيارة ولم تفلح الحملة.

وفي عام ١٩٨٢م تخفى المئات من تنظيمات الحزب الشيوعي وحزب الدعوة الإسلامي وعدة حركات ومنظمات جهادية منها حركة مجاهدي الأهوار في مناطق الأهوار وجهزت الحكومة آنذاك حملة قوية عام ١٩٨٧م وفشلت الحملة.

وفي عام ١٩٩١م حدث انعطاف تاريخي كبير إذ شارك الجميع في انتفاضة الشعب العراقي وحين فشلت الانتفاضة عاد الثوار إلى مناطقهم الأصلية في الأهوار.

وفي عام ١٩٩٤م قام نظام صدام بغلاق منابع المياه والأنهار التي تصب في الأهوار غلقا محكما وقام بنصب مضخات ضخمة جدا يحرسها الوية من الجيش العراقي وأخذت بسحب المياه من الأهوار ولدة عامين كاملين جفت فيها الأهوار تماما وقتلت فيها الحياة ومردت البيئة بصورة لم يشهد لها التاريخ مثيلا حتى في العصور الغابرة ولم يبق إلا جيف الأسماك والحيوانات ، وقام الجيش بحرق القصب والبردي اللبابس وأصبحت الأهوار صحارى قاحلة حتى عام ٢٠٠٢م عندما بدأ التغيير وعاد الماء إلى الأهوار مرة ثانية.

نتائج التجفيف

وقد أدت عمليات التجفيف إلى النزوح الجماعي لسكاني الأهوار وجواميسهم إلى المناطق المجاورة وأحداث تغيرات كبيرة في جغرافية الغرة السمكية وجغرافية الجاموس في العراق وسط المياه الممتدة وضمت ساعات ولم نقطع ،وارتفاع درجات الحرارة وانخفاض نسبة الرطوبة وتدني نوعية الثمور . إضافة إلى زيادة احتياجات المحاصيل الزراعية للماء نتيجة لما يفقده النبات من خلال التبخر وكذلك احتياجات الغرة الحيوانية للماء بكمية أكبر وتعرضها إلى خطر الجفاف ،ورحيل الطيور الخارطة عن المنطقة وانتشار الأملاح في التربة وخراب مواصفاتها ،وتفكك جزئيات التربة مما سهل على الريح رفع الذرات المهمة للإنتاج الزراعي وانقراض أنواع لا حصر لها من الطيور والنباتات والحيوانات.

مواقع الأهوار

ضمت ساعات وشبائك مخفية في الماء ثبثت نهاياتها بالمشاحيف ، كانت تمر أمامنا قوافل من صيادي الأسماك وأخرى مشاحيف انفرادية وتوقف الزورق البخاري نتيجة عطل ونحن في وسط المياه الممتدة وضمت ساعات ولم نقطع سوى كيلومترات قليلة فتقاطرت المشاحيف علينا كل منها يقدم خدمته ويعرض المساعدة وقد تعاونت السواعد وتشابكت الأيدي إلى أن تم إصلاح العطب التفت إلى (فليح) وسألته يا أخى كم يوما تحتاج في تجوالنا في الأهوار

أجاب. .أياما طويلة حيث الأهوار بعيدة الأطراف كبيرة واسعة جدا وطلعت ثانية المصادر لأحد مواقع الأهوار .

أن منطقة الأهوار في العراق هي من أوسع مناطق الأهوار في العالم بما يساوي عشرين ألف كيلومتر مربع وهي من أكثر مناطق العالم غرابية.

□ البصرة / عبد البطاط

أصل الأهوار

ونحن في الزورق البخاري أردت أن اعرف أصل هذا العالم العجيب وكيف تكونت الأهوار. . يقول (كافين ماكس) مؤلف كتاب قصبية في مهب الريح " في العصور البابلية امتد الخليج العربي إلى أعلى العراق. . ونهرا نجلة والفرات يصبان في البحر بانفصال ليس كما هو الحال الآن.

.وعندما يتقهقر البحر يترك في أثره إقليما من الأهوار والجداول والمستنقعات وعلى مر القرون انقسمت الأهوار العظيمة للعرضة للتغيير بسبب تأثير البحر إلى مساحات يؤثر عليها

الفيضان الموسمي وإلى أهوار شبه دائمة وإلى مساحات مركزية من الأهوار الدائمة الحالية تقع في مناطق منخفضة بين مجرى النهرين. .فكلما تراجع البحر ترك مساحة ذات ارض رخوة.

أما الدكتور إبراهيم شرف في كتابه (الموقع الجغرافي للعراق) فيقول " من الصعب إرجاع تكوين هذه المنخفضات إلى سبب واضح ويبدو أنها تكونت بسبب عدة عوامل اشتركت بنسب متباينة في تكوينها. "

ويذكر (ولفرند تسيكر) في كتابه (المعدان أو سكان الأهوار) عن أصل تكوين هذه الأهوار قائلا " تكونت هذه الأهوار من جراء تجمع مياه الفيضانات. "

ويقول محمد السدود وانهدام النواظم بانهار الحكام الأقوية في العصور الغابرة. .وسقوط الحضارات العريقة اندرست الأنهار وانطمرت قنوات الري فأصبحت المياه تتدفق بلا موجه وغمرت ما غمرته من الأراضي الشاسعة وكونت مساحات واسعة من المياه غطت معالم وأثار لحضارات قديمة. "

يقول محمد حسين فوزي بهذا الصدد. . " بعد انهيار السدود وانهدام النواظم بانهار الحكام الأقوية في العصور الغابرة. .وسقوط الحضارات العريقة اندرست الأنهار وانطمرت قنوات الري فأصبحت المياه تتدفق بلا موجه وغمرت ما غمرته من الأراضي الشاسعة وكونت مساحات واسعة من المياه غطت معالم وأثار لحضارات قديمة. "

يقول محمد حسين فوزي بهذا الصدد. . " بعد انهيار السدود وانهدام النواظم بانهار الحكام الأقوية في العصور الغابرة. .وسقوط الحضارات العريقة اندرست الأنهار وانطمرت قنوات الري فأصبحت المياه تتدفق بلا موجه وغمرت ما غمرته من الأراضي الشاسعة وكونت مساحات واسعة من المياه غطت معالم وأثار لحضارات قديمة. "

يقول محمد حسين فوزي بهذا الصدد. . " بعد انهيار السدود وانهدام النواظم بانهار الحكام الأقوية في العصور الغابرة. .وسقوط الحضارات العريقة اندرست الأنهار وانطمرت قنوات الري فأصبحت المياه تتدفق بلا موجه وغمرت ما غمرته من الأراضي الشاسعة وكونت مساحات واسعة من المياه غطت معالم وأثار لحضارات قديمة. "

يقول محمد حسين فوزي بهذا الصدد. . " بعد انهيار السدود وانهدام النواظم بانهار الحكام الأقوية في العصور الغابرة. .وسقوط الحضارات العريقة اندرست الأنهار وانطمرت قنوات الري فأصبحت المياه تتدفق بلا موجه وغمرت ما غمرته من الأراضي الشاسعة وكونت مساحات واسعة من المياه غطت معالم وأثار لحضارات قديمة. "

الأهوار في التاريخ ملاجئ الثائرين
البطاط أو البطايح. . هي الصلة بين البصرة و اسط والبطيحة فهي ميل واسع ومجتمع مياه سائبة وتعني المستنقعات أو البحيرات الساحلية والأجزاء الضحلة من البطايح المغطاة بالبردي تسمى (الأجاف) بينما الأهوار مسطح مائي واسع.

وكانت البطايح جنوب العراق مسكونة منذ القدم ، فقد روى الجغرافيون العرب أمثال (أبو الفداء وابن القوطي والقزويني) أن هذه البطايح كانت ملاجئ الثوار والخارجين على القانون وطالما لجأ هؤلاء إلى الإغارة على المراكب القادمة من البصرة ما دعما الحكومة إلى تجهيز حملات للقضاء عليهم ففي سنة ١٢٩٣هـ وما بعدها أرسلت حملات عسكرية لمهاجمة المنطقة والقضاء على الخارجين.

ويحدثنا التاريخ أن (عمران بن شاهين ، السلمي أمير البطايح فر إلى مناطق الأهوار حين حارب البويهيين وجهزوا حملة لقتاله وذلك في عام ١٠٠٥م وقد عجز الجيش البويهي عن القضاء على الثورة في هذه المنطقة.

وفي عام ١٥٣٥م جهزت الدولة العثمانية حملة كبيرة من السفن النسرارية تقدر بأكثر من مئة سفينة عزت معاقل شيخ مشايخ (الصيامر) (علي آل عليان الطائي) الذي كان حاكما لمنطقة الجزائر وفر إلى منطقة الأهوار وعجزت القوة عن التغلغل في الأهوار لما أصابها من خسائر فادحة ولكنها قطعت أشجار النخيل ودمرت المدينة تماما واشتدت مقاومة القبائل لدرجة أنهم داهموا الحاميات العثمانية مرات متكررة وجعلت العثمانيين غير قادرين على استخدام الطريق بين بغداد والبصرة وذلك لسيطرة أهالي الأهوار على هذا الطريق.

وفي عام ١٥٦٥م قاد (اسكندر باشا الشركسي) حملة مكونة من ألف سفينة وهاجم مشايخ الجزائر وفر هؤلاء المشايخ إلى مناطق الأهوار وفشلت الحملة.

وفي عام ١٨٦٠م عصا شيخ (البو سويلم) (حود آل عنزيان) على الحكومة العثمانية فجهزت ضده حملة في منطقة البدرية والخاص وايضا فر إلى الأهوار وفشلت في إلقاء القبض عليه.

وفي عام ١٨٩٠م جهزت حملة تأديبية بقيادة الحاجان فاضل عباس الداغستاني على قبيلة شيخ بني أسد (حسن الخيون) وفر إلى الأهوار وفشلت الحملة.

وفي عام ١٩٢٤م شنت الحكومة العراقية حملة للقضاء على نفوذ شيخ بني أسد (سالم الخيون) وفر إلى الأهوار وتمتخ فيها.

وكان لرجال الأهوار الدور الكبير في ثورة العشرين الخالدة التي أشعل فتيلها رجال الفرات الأبطال.

وفي عام ١٩٢٤م أعلنت عشائر بني أسد العصيان فشننت الحكومة العراقية حملة على الشيخ (غضبان الخيون) وبعد معارك طاحنة فر